الإهداء

إلى جميع الزملاء والرفقاء من المعلمين والموجهين وأساتذة الجامعات

أهدى هذا الكتاب راجياً الإفادة منه نقداً وتعديلاً وتصويباً

كما اهدى هذا الكتاب لابنتى الدكتورة أميمة مع شكرى الجزيل لما بذلته من جهد فى تصحيحه وإعداده للطبع

والله الموفِق والمستعان،

د. السيد عبد الرحيم عطية

دكتوراه فى اللغة العربية وآدابه

مقدّمة

لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الحديث، ولغتنا التى نتكلم بها، وقلمنا الذى نكتب به، ولغة تراثنا الذى نعتز به، لأنها كل هذا فإن الحديث عنها قريب إلى الروح، محبب إلى النفس، بإزدهارها نزهو ونسعد، وبضعفها وإهمالها نأسى ونأسف، ولأن شكوى الغيوريين عليها زادت فى السنوات الأخيرة بسبب ما أصابها على ألسنة أبنائها وأقلامهم من إهمال لقواعدها، وعدم إكتراث لبيانها وبلاغتها، فقد أصبح لزاماً علينا أن نُسهم فى تخليصها من هذه الحال المتردية، وأن ننتبه إلى ذلك ونحث المسئولين فى وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي والصحافة والإعلام أن يولوا لغة القرآن الكريم ماتستحقه من اهتمام فى مناهجها وطرق تدريسها، وإعداد المدرسين وكتابتها والنطق بها ولأن علاج المرض يستتبع بالضرورة تشخيص هذا المرض، فقد كان لابد أن نوضح أولاً ماتتعرض له من إهمال بقصد أو بدون قصد ،ومن هجوم شرس على قواعدها وأصولها، ولاشك أن هناك حالة من الكراهية بين شبابنا وبين لغتنا العربية، وهناك جهل فاضح بهذه اللغة كتابة ونطقاً حتى على ألسنة بعض المذيعات والمذيعين، ولكن هل هذا بسبب عيب فى اللغة، أم بسبب القصور فى التعليم بصورة عامة، وفى اللغة العربية بصفة خاصة ؟

وبديهى أن تكون اللغة أداة للفكر، وأن تظل ترجمة فاعلة له، مما يستدعى تحديثها كلما تجدد الفكر، وتطويرها كلما تطورت معطيات الحياة فى اتساق مطرد مع منظومة الحضارة بكل مكوناتها ومقوماتها.

وتبدو لغتنا العربية من بين لغات العالم قديمة وحديثة قادرة على مواكبة حركة العصور التى عاشتها، وليست لغة العصر الواحد، بما تتسم به من المرونة والبساطة، خاصة إذا تيسر استعمالها وأعيد تقديم قواعدها لجمهور المتلقين بعيداً عن الغموض أو التعقيد.

وهذا هو المدخل إلى تحديثها، خاصة أنها قادرة بطبيعتها على استيعاب مصطلحات العلوم فلم تكن يوماً مجرد لغة أدب فحسب، بل كانت لغة للعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، على مدار فترات متلاحقة من المد الحضارى الرائع الذى ملأت فيه ثقافتها أطراف الأرض مشرقاً ومغرباً.

ومن المؤكد أن للإعلام دورا مهما وعظيما فى تحديث اللغة، خاصة حين يصبح توظيفه قويًا وأصيلاً فى نشر المستحدث من مفرادتها وتراكيبها انعكاسًا لروح المرحلة، وكشفًا لطبيعة معطياتها، وصدورا عن أبعادها الواقعية الجديدة، مما يسمها بواقعية الأداء والتطور، وعندئذ تبدو جامعة بين أصالة الماضى الذى يظل حاميا لها من الاندثار أو الذوبان فى غيرها، وبين واقعية الحاضر الذى يتسق فيه مع جوهر الحياة وتحقيق غاياتها وتعزيز مقاصدها دون خلل أو عجز أو قصور.

جـال بخاطـرى مايقـال مـن أن معظـم النـار مـن مسـتصغر الشـرر، ذلـك أن الدافـع المباشـر للعمـل الكبـير ربمـا يكـون شـيئا هينـا ويسـيرا.

وهـذا بالظبـط كان الدافـع المباشـر للكتابـة فـى هـذا الموضـوع ، فقـد وقفـت – بالمصادفـة – علـى ماذكـره أحـد الكتـاب الصحفيـين فـى مقـال نشـر بأهـرام الخميـس ٢٠٠٦/٢/٩ ، وأشـار فيـه إلى اليـوم العالمـى للغـة الأم وهـو يـوم ٢١ فبرايـر، ودعـا فيـه إلى إحيـاء واسـع وفعـال لهـذا اليـوم العالمـى، مشـيرا إلى أهميـة التنسـيق بـين مجتمعنـا اللغـوى ومختلـف اللجـان التـى تشـكلت فـى السـنوات الأخـيرة وتقـوم بـدور بـارز وفعـال فـى الدفـاع عـن اللغـة العربيـة.

وقـد تكفـل مجمـع اللغـة العربيـة المصـرى الـذى يسـمى الآن (مجمع الخالديـن) بالمحافظـة علـى سـلامة اللغـة العربيـة، وجعلهـا وافيـة بمطالـب العلـوم والفنـون، وملائمـة لمتطلبـات الحيـاة فـى هـذا العصـر.

واللغـة العربيـة كانـت ومازالـت معشـوقة الأدبـاء والشـعراء يتغنـون بهـا ويمتدحونهـا، فيصورهـا أحدهـم بأنهـا (البحـر فـى أحشـائه الـدر كامـن) ويقـول عنهـا آخـر :

لغتـى هـى الفصحـى وفـى أسـرراها قوميتـى وأنـا وأنـت بدونهـا نحيـا بغـير هويـة، تلـك اللغـة التـى كنـت واحـدا ممـن اضطلـع بهـا، وحمـل عبئهـا عشـرات السـنين، باحثـاً ومدرسـاً ومشـرفاً وموجهـاً، ثـم كانـت نهايتـى معهـا أن حصلـت فيهـا وفـى آدابهـا علـى درجـة الماجسـتير بامتيـاز فـى البلاغـة والنقـد الأدبـى مـن كليـة دار العلـوم – جامعـة القاهـرة، ثـم درجـة الدكتـوراه بمرتبـة الشـرف الأولى فـى اللغـة العربيـة وآدابهـا مـن كليـة الآداب – جامعـة عـين شمـس .

ولاشك أن هذا الدافع المباشر الذى أشرت إليه منذ قليل قد حرك فى نفسى دوافع أساسية كامنة، من أهمها الغيرة على اللغة العربية باعتبارى أحد رجالاتها الذى حملوا عبئها – كما أشرت إلى ذلك – إبان إزدهارها فى الماضى، وقد آلمنى وأحزننى ما آلت إليه فى الحاضر الذى نكصت فيه على أعقابها، وصارت تنعي حظها العاثر على يد أبنائها قبل أعدائها.

وقد تضمن البحث فى هذا الكتاب مقدمة وعدة موضوعات يتعلق بعضها بواقع اللغة العربية، ويتعلق بعضها الآخر بما نأمله لها من تقدم وازدهار، وقبل هذا وفى البداية لابد من تعريف باللغة العربية يكشف عن خصائصها ومقوماتها.

ولعلى بهذه الدراسة وهذا البحث أكون قد وفيت لها ببعض مالها عندى من فضل وإحسان، وبالله التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.